

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية

المحاضرة السادسة : الفكر السياسي عند توماس هوبز

مقياس: تاريخ الفكر السياسي

السنة : الأولى: الليسانس علوم سياسية السداسي الثاني

الفئة المستهدفة : طلبة سنة أولى ليسانس علوم سياسية المجموعة الأولى

الحجم الساعي الأسبوعي : ثلاثة ساعات ( 03س)

اعداد الدكتور: توازي خالد أستاذ محاضر (أ)

عنوان الدرس : الفكر السياسي المدعم للحكم المطلق توماس هوبز والعقد الاجتماعي

اهداف الدرس :

– تحديد المفاهيم المتعلقة بالعقد الاجتماعي

– محتوى العقد واطرافه

– التعريف بهوبز المفكر واسهاماته في الحياة السياسية والفكرية عن نظام الحكم الأفضل

عنده

ملخص الدرس : يتناول الدرس الخطوات الأولى التي تعالج موضوع الفكر السياسي المدعم للحكم المطلق

تماشياً مع تنامي تطور الممالك الغربية والتي سيكون له دور أساسي في بعث مفهوم الدولة الوطنية وستكون

سبب مباشر في ظهور الفكر الديمقراطي في أوروبا القرن الحديث

الجدور البعيدة لنظرية العقد الاجتماعي

– أولاً مدرسة القانون الطبيعي:

جاءت هذه النظرية كامتداد فكري للواقع الذي كانت تعيشه القارة الاوربية من تنامي للمالك والوحدات

القومية وفي ظل الصراع القائم بين النبلاء من أصحاب الامتيازات والملوك الذين سعوا الى توطيد حكمهم

في ممالكهم ولقد رأينا في محاضرات سابقة اسهامات المذهب الارسطوطاليسي والقانون الروماني في توطيد

نظام الحكم الوضعي على حساب السلطة الزمنية وبدعم من مفكرين عايشوا هذا الواقع وانحازوا الى الملوك المحليين .

تنطلق مدرسة القانون الطبيعي من فكرة أساسية كانت سائدة مع بداية القرن السادس عشر وهي فكرة العصر ومحتواها ان الافراد قبل انضوائهم في دول كانوا يعيشون في مجتمع بدائي تسوده القوانين الطبيعية التي تعترف بحقوق الافراد كل الافراد ولقد ظهر اتجاهان في هذه المدرسة هما على التوالي

أ. الاتجاه الأول: يقول بأن العصر الطبيعي امتاز بالبساطة والفضيلة و الدولة قضت او انتهت هذه

السعادة

ب. الاتجاه الثاني: يقول ان العصر الطبيعي عصر غابة وحرب الكل ضد الكل وجاءت الدول فانتهت

هذه المفاسد.

مع ظهور الملكيات المطلقة ذهب اغلب المفكرين الى تبني الاتجاه الثاني تمجيدا للدولة ووجودها خاصة انها كانت تشكل نقطة مفصلية في تاريخ بناء الدولة .

إن الاعتراف بوجود قانون طبيعي مختلف عن القانون الوضعي ، ويتفوق عليه، هو قول ضارب الجذور في الفكر السياسي، نجد عناصره المفاهيمية الأولى عند قدماء الإغريق، من خلال الفكر الرواقي الذي تبني فكرة لمواطن العالمي والدولة العالمية انطلاقاً من هذا المفهوم أما في العصور الوسطى، فقد اعطوه المفكرون المسيحيون معاني جديدة وخلعوا عليه مضامين لاهوتية، وأصبح معهم يعبر عن القانون الإلهي أو الأزلي.

أما مرحلة ما بعد القرون الوسطى، فقد طورت فكرة القانون الطبيعي واصبحت وسيلة عقلانية للانتقال او لبناء المجتمع المدني، ويبدو هذا التطور شديد الوضوح في كتابات توماس هوبز في القرن السابع عشر، حين أكد أن القانون الطبيعي ليس في الواقع إلا العقل البشري ، وأن أحكام هذا القانون ليست في حقيقتها شيئاً آخر سوى ما يستنبطه العقل من طبيعة البشر.

وبهذا يكون قد ساهم منظرو القانون الطبيعي الجدد استناداً على مبدأ المصلحة العامة، وحقوق الأفراد وحالة الفطرة، وبهذا الشكل كانوا يبررون التسليطة والقومية، ويقدمون للملوك أسلحة ثمينة في صراعهم ضد طبقة النبلاء التي كانت تتذرع بامتيازاتها الخاصة من أجل معارضة كل نزعة لتمركز السلطة في يد الملوك.

— ثانيا نظرية العقد الاجتماعي: كما رأينا، فقد اتفق فلاسفة العقد الاجتماعي على أن الإنسان

توصل إلى القانون الطبيعي باستخدام عقله، وأن هذا القانون في جوهره هو قانون صحيح وعادل،

و بالتالي فهو يشكل بنية لتنظيم العلاقات الاجتماعية، وتحديد حقوق الأفراد وواجباتهم قبل ظهور الدولة.

ترى نظرية العقد ان تطور الحياة الطبيعية أدى الى ضرورة اتفاق الجماعة فيما بينها لاقامة نوع من التنظيم يوفر لهم الاستقرار والامن والمقصود بهذا التنظيم هو الدولة ، وبهذا فإنَّ نظرية العقد تقدم لنا تفسيراً مدنياً للسلطة ، و ترى هذه النظرية ان هناك عقدين في الحقيقة هما:

أ. عقد اجتماعي يؤسسه الناس فيما بينهم ويسمى عقد اجتماعي

ب. عقد مدني يؤسس الدولة يكون بين الجماعة والحاكم

ماهي الخدمات التي قدمتها نظرية العقد للسلطة الوضعية ؟

— لقد ساهمت فكرة العقد الاجتماعي في القضاء التدريجي على الأصل الإلهي للسلطة

— أعطت للفرد مركز متميز بصفته أحد اطراف العقد

— أكدت على حقوق الفرد ومكانته ودوره في المجتمع السياسي.

وقد نتج على ذلك التزام المواطن بالخضوع للسلطة السياسية، الذي ينبع من رضاه، أو من الوعد بالطاعة الذي قطعه على نفسه بحرية. أي أن التزامه بالطاعة هو التزام نابع من إرادته المحضة، وفقاً لما أملاه عليه عقله.

توماس هوبز (1588 - 1679)

ولد في إنجلترا عام 1588 وتوفي عام 1679 ، وكانت ولادته في غير موعدها الطبيعي حيث خرج إلى الدنيا قبل أن تكمل أمه شهور حملها التسعة ، وقد كان يرجع سيطرة الخوف عليه إلى مولده ، ان يقول (أنا والخوف توأمان) ، وكان من الأسباب الأخرى التي جعلت الخوف الدائم يسيطر عليه أنه عاش حياته في ظل الصراع بين الملك والبرلمان فترة عانت فيها إنجلترا من صراعات هائلة منها ما هو ديني (يتصل بالدين والكنيسة) ومنها ما هو سياسي بين البرلمان والملك ، وعلى ذلك فقد كانت غاية فكره هي تحقيق الأمن والسلام داخل المجتمع

❖ اهم افكاره

قدم هوبز أفكاره السياسية في كتابه الشهير اللوفيثان و هو وحش أسطوري ضخم و يشير هوبز باللوفيثان إلى الدولة كمجتمع إنساني ضخم ، وينطلق فكر هوبز من فرضين هما : حالة الطبيعة و العقد الاجتماعي الناقل للناس من حالة الطبيعة إلى حالة المجتمع (الدولة).

1. حالة الطبيعة : يتساوى الافراد في الحالة الطبيعية وكل فررد منافس و عدو للاخر في الحالة الطبيعية يتمتع الفرد في حالة الطبيعة بحرية تامة في استخدام الوسائل التي يراها مناسبة للحفاظ على حياته ، هذا الوضع يخلق صراعات في غياب سلطة القاهرة توقف الكل ، فإني هذه الحالة لا يوجد سوى قانون القوة والحيلة اذن حالة الطبيعة حالة شر و تعدي ، حالة حرب دائمة بين الفرد والفرد، والكل و الكل ، والإنسان فيها ذئب للإنسان ، لا أحد يأمن على نفسه ولا على ممتلكاته ، لا زراعة فيها ولا صناعة ولا ادب ولا علم ، يسود حالة الطبيعة الخوف والخطر الدائم وتصبح فيها الحياة الإنسانية شبيهة بالحياة الحيوانية من هذا المنطلق ادرك الناس ضرورة الخروج من هذه الحالة السيئة بالتخلي عن حقوقهم وانشاء عقدا مؤسس للمجتمع (الدولة). او الكومنولت او الليفياتان ،يقول هوبز ان الدولة تنشأ بدافع المنفعة وهي منفعة المحافظة على الذات وحسب هوبز فان العاطفة أي الخوف والعقل محددان يدفعان للانتقال الى المجتمع المنظم أي الدولة او الوحش وهو عبارة عن جسم سياسي يمثلهم جميعا فلقد سمح كل واحد منهم له استعمال القوة و ثروات الجميع بالشكل الذي يراه مناسب من اجل تأمين سلامتهم في الداخل و الدفاع المشترك عنهم ضد الأعداء الخارجيين

2. العقد الاجتماعي: كيف انتقلت السلطة الى هذا الجسم السياسي يقول هوبز ان البشر الطبيعيين تعاقدوا فيما بينهم وذلك لصالح طرف ثالث لم يتعهد اتجاههم بأي التزام وذلك من اجل الامن المشترك وبمقتضى هذا العقد تنازل الناس عن كافة حقوقهم التي كانوا يمتلكونها في حالة الطبيعة لشخص (أصبح الملك او الجسم السياسي) ، دون أي التزامات عليه لأنه ليس طرفا في العقد ، ولكن عليه واجب واحد فقط هو بناء قوته وصيانتها حتى يتمكن من تأمين ركب الجماعة ، وتحقيق الأمن والسلام في المجتمع .

يعتبر كتاب اللوفياتن مرافعة لصالح الملكية المطلقة فهو يبرر الحكم المطلق بمنظور نفعي خالي من كل نظرة دينية ومن كل نزعة عاطفية ، فالسيادة عند هوبز كانت اسقاط للفردانية وكانت تعطي قيمة مطلقة للإرادة الفردية فالافراد الذين خلقوا الدولة من اجل حماية مصالحهم ان هوبز سار على نفس خطى ميكيافيلي ففكرة السلطة الغير مسؤولة وغير المحدودة التي أسسها الافراد عندما تصبح مقبولة فانها تقضي على الفكر الحيواني وتجعل الانسان يكف بان يكون ذئبا للإنسان ، وعليه فإن احسن أشكال الحكومات عند هوبز هي الملكية المطلقة أي التي لا تنقيد بأية قيود دستورية أو غيرها معتبرا إياها الوحيدة القادرة على تحقيق الأمن والسلام داخل المجتمع ؛ في النهاية نستطيع ان نقول بأن هوبز يدعوا الى حكم مطلق يهدف الى تحقيق الامن والنظام الضامن الفعلي للعدل